تنصيب بايدن.. فصل حاسم في تاريخ الولايات المتحدة

الإدارة الأميركية الجديدة على محك الأزمات الداخلية والخارجية شديدة التعقيد

يتولى الرئيس الأميركي الجديد جو بايدن رسميا، الأربعاء، منصب الرئيس السادس والأربعين في تاريخ الولايات المتحدة خلفا للرئيس السابق المثير للجدل دونالد ترامب، ليفتح فصلا حاسما لإصلاح صورة بلده داخليا وخارجيا. وهو يدرك أن المهمة ليست سهلة بالنظر إلى الاعتداءات التي شهدتها أعرق مؤسسة دستورية في الجمهورية، وهو ما دفع السلطات إلى الإعلان عن حالة استنفار أمني قصوى تحسبا لوقوع عمليات إرهابية أو تصادم بين مؤيدي ترامب ومعارضيه.

واشنطن – مع بدء أسبوع تاريخي، كشف معسكر الرئيس المنتخب جو بايدن خارطة طريق لإخراج الولايات المتحدة من أزماتها الاقتصادية والاجتماعية والصحية بالتزامن مع الانتهاء من تعيين فريق إدارته التي ستسهر على تطبيق الأجندة السياسية الخارجية للسنوات الأربع المقبلة، ومن دون أن تلجمه كثيرا إجراءات عزل سلفه دونالد ترامب.

وينصّب بايدن، وهو الرئيس السادس والأربعون في تاريخ الولايات المتحدة، الأربعاء، في عاصمة أميركية تظهر وجها غير مألوف مع تحويلها إلى حصن منيع وانتشار العسكريين في كل الشوارع، ونشر أسلاك شائكة وسياج عال بعد الهجوم على الكابيتول في السادس من يناير الجاري.

ووضع الرئيس الديمقراطي المنتخب مراسم تنصيبه تحت عنوان "وحدة الأميركيين"، وسيحيط نفسه بالرؤساء الأميركيين السابقين باراك أوباما وبيل كلينتون وجورج بوش الابن من أجل مد اليد إلى بلد منقسم وجريح. وسيكون العالم كله مشدودا إلى واشنطن في هذا اليوم، وسط حشود كبيرة من وسائل الإعلام لتوثيق هذا الحدث.

تحول تاريخي

بعد أربع سنوات من ولاية رئاسية عمد ترامب خلالها إلى إثارة الانقسامات بين الأميركيين، أدت الحملة التي شنها الرئيس المنتهية ولايته على نتائج الانتخابات الرئاسية إلى تعميق الهوة أكثر.

ورفض الرئيس الجمهوري الاعتراف بالهزيمة منددا بعمليات تزوير لم يقدم أي دليل عليها. وحتى وإن فشل في إقناع المحاكم، فإنه نجح في زرع الشكوك في أذهان الملايين من أنصاره الذين شن عدد كبير منهم هجوما على مبنى الكابيتول في السادس من هذا الشهر، ما يعني أن خلفه سيكون أمام تحديات داخلية معقدة لإصلاح ذلك الإرث.

وقد دخل بايدن السباق إلى البيت الأبيض باتهامه دونالد ترامب بتغطية عنف اليمين المتطرف واعدا بشن "معركة من أجل روح" المجتمع الأميركي، ولذلك يرى مراقبون ومؤرخون أميركيون أن على هذا السياسي البالغ من العمر 78 عاما والمخضرم في الجانب السياسي والذي شهدت حياته مآس عائلية، وضع صورته كشخصية جامعة في خدمة بلد يشهد انقسامات كبيرة ويعاني صدمة الهجوم القاتل على الكونغرس.

وبعد محاولتين خائبتين للوصول إلى الرئاسة الأميركية وحملة انتخابية طغى عليها وباء كوفيد – 19، وفوز شابته ادعاءات لا أدلة عليها بحصول تزوير أطلقها منافسه دونالد ترامب، سيحقق جو بايدن الأربعاء حلمه بدخول البيت الأبيض رئيسا هذه المرة. وحجز لنفسه من الآن موقعا في كتب التاريخ على أنه الرجل الذي أسقط دونالد ترامب.

ومنذ إعلان ترشحه في العام 2019 حتى تنصيبه الأربعاء، لم يكف بايدن نائب الرئيس باراك أوباما عن محاولة تجسيد هذه الوحدة واعدا بالعودة إلى الهدوء بعد رئاسة ترامب العاصفة. وهو يتهم الرئيس الجمهوري بأنه "مزق" الشعب الأميركي، إلا أن الانقسامات الكبيرة ازدادت عمقا منذ ذلك الحين.

ويلفت ديفيد فاربر أستاذ التاريخ في جامعة كنساس الأميركية إلى أن الولايات المتحدة لم تعرف أزمة شرعية سياسية كهذه منذ تنصيب أبراهام لنكولن عام 1861، والذي أطلق شرارة الحرب الأهلية الأميركية.

وبعد اتهامه بالتشجيع على أعمال العنف هذه، من المقرر محاكمة ترامب أمام مجلس الشيوخ. ويقول فاربر إن ذلك الأمر سيستهلك الوقت الذي يحتاج إليه جو بايدن لبدء مشاريعه. وأشار إلى أنه إن كان بعض الجمهوريين نأوا بأنفسهم أخيرا عن الملياردير المتهور "فسيبقى قوة صاخبة قد تستمر طوال فترة إدارة بايدن التي لن يسعها الكثير حيال ذلك".

لكن ذلك ليس كل شيء، فرغم أن المحللين يعتقدون أن بايدن سيركز خلال الأشهر الأولى على معالجة القضايا الداخلية ذات الأولية، إلا أن علاقة الولايات المتحدة بالعالم ستكون الشق المهم بالنسبة إليه لإعادة هيبة أقوى دولة في العالم. وقد قال نهاية الأسبوع لدى تعيين مسؤولين جدد في وزارة الخارجية "الولايات المتحدة أقوى عندما تتعاون مع حلفائها"، داعيا إيّاهم إلى "ترميم القيادة الأخلاقية والعالمية" للولايات المتحدة.

ويردد الرئيس الديمقراطي رسالة القطيعة هذه مع ترامب الذي يرى محللون في مراكز الأبحاث المتخصصة في السياسات الخارجية، وحتى شق كبير من الأميركيين، أنه أساء معاملة حلفائه وتقرب من حكام مستبدّين وكسر الاتفاقات الدولية مبتعدا عن النهج التعددي.

ولذلك اختار بايدن دبلوماسيين متمرسين عملوا في إدارة باراك أوباما، ما يضمن العودة إلى خط تقليدي أكثر في السياسة الخارجية الأميركية، وعلى رأس هؤلاء الدبلوماسي أنتوني بلينكن حيث سيتعين عليه "تصحيح مسار" السياسة الخارجية الأميركية، والذي قال السبت الماضي، إنه يريد أن يجعل الولايات المتحدة "مثالا" لبقية العالم.

سياسي محنك

سبق لبايدن أن كذّب العديد من التوقعات، ففي ربيع العام الماضي سجل عودة تاريخية في السياسة الأميركية من خلال فوزه الكبير في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي.

ومع أن البعض اعتبره متقدما جدا في السن ووسطيا كثيرا، تمكن هذه السياسي المحنك من الفوز بغالبية كبرى في كارولاينا الجنوبية بفضل أصوات الأميركيين السود التي تعد حجر الزاوية لكل ديمقراطي مرشح إلى البيت الأبيض. ومتسلحا بهذا الانتصار، حشد بسرعة تأييد معتدلين آخرين ثم هزم منافسه الرئيسي بيرني ساندرز.

ديفيد فاربر

فترة ترامب ستبقى قوة صاخبة قد تستمر طوال فترة بايدن

وخلافا للمعركة المريرة والطويلة بين هذا الاشتراكي وهيلاري كلينتون في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي في 2016، تمكن بايدن سريعا من جمع التيار اليساري في الحزب مركزا على هدف واحد يتمثل في إلحاق الهزيمة بدونالد ترامب. وتبقى معرفة ما إذا كان بايدن "الموحد" المعتدل سينجح في إبقاء الوحدة بعد دخوله البيت الأبيض.

وقال باراك أوباما إنه حتى لو عرض بايدن البرنامج "الأكثر تقدمية" في تاريخ الانتخابات الرئاسية الأميركية، فإن البعض من اليسار سيعتبرونه فاترا للغاية وهم ينتقدونه عندما يتحدث عن استئناف الحوار مع الجمهوريين.

وكانت المحاولة الثالثة هي الصائبة لهذا السياسي المخضرم، بعد فشل محاولتين للترشح للانتخابات التمهيدية الديمقراطية في 1988 و2008. فخلال محاولته الأولى، اضطر سريعا للانسحاب بعدما تبين أن خطابه تضمن عبارات مسروقة.

وشغل منصب عضو مجلس شيوخ على مدى أكثر من 35 عاما ولغاية 2009، ثم نائب الرئيس منذ ذلك التاريخ وحتى 2017 ما مكنه من التواجد على مدى عقود في أروقة السلطة في واشنطن، وتخللت حياته السياسية الطويلة فصول مثيرة للجدل فضلا عن نجاحات يبرزها اليوم.

ويحظى بايدن بشعبية كبرى في صفوف الأميركيين السود، حيث دعا في بداياته السياسية حين كان نائبا محليا في ويلمنغتون إلى تطوير المساكن الشعبية، ما أثار استياء السكان البيض. وغالبا ما يروي كيف أسست تجربته كمنقذ بحري في حي تقطنه غالبية من السود لعمله السياسي.

لكن ثمة فصول أخرى تلقي بثقلها على مسيرته السياسية، مثل تصويته لصالح الحرب في العراق العام 2003، أو جلسة الاستماع العاصفة برئاسته في مجلس الشيوخ العام 1991. ويضاف إلى ذلك تأييده القوي لـ"قانون الجريمة" لعام 1994 الذي اعتبر مسؤولا عن ارتفاع كبير في عدد السجناء بينهم نسبة كبيرة من الأميركيين السود.

ويعترف بايدن اليوم بأن ذلك كان "خطأ" مشددا على شق آخر من هذا الإصلاح واسع النطاق يتعلق بقانون مكافحة العنف في حق النساء والذي يشكل "أكبر مصدر فخر" بالنسبة إليه.

رؤية جديدة إلى العالم

إدارة بايدن أمام عبء طي صفحة ترامب

واشنطن - أمضى الرئيس الأميركي المنتهية ولايته دونالد ترامب يومه الأخير، الثلاثاء، بالبيت الأبيض في ختام ولاية شهدت انقساما عميقا في الولايات المتحدة، وقد يغتنم اللحظات الأخيرة من رئاسته لإصدار سلسلة من قرارات العفو، في تحدّ أخير لخصومه.

وستواجه إدارة الرئيس المنتخب جو بايدن تحديات لا حصر لها على المستوى الداخلي لطي صفحة ترامب، حيث كانت فترة توليه الرئاسة خلال الأربع سنوات مليئة بالسجالات.

ويدخل بايدن البيت الأبيض الأربعاء ليبدأ ولايته على رأس بلد يحصد فيه وباء كوفيد – 19 أكثر من ثلاثة آلاف أميركي كل يوم، ويسجل مليون شخص في برنامج البطالة كل أسبوع، ويشكّك عشرات الملايين في شرعيته.

قالت الخبيرة في الشؤون السياسية ماري ستوكي من جامعة ولاية بنسلفانيا "ما يميّز عهد بايدن ليس أن البلد يمرّ بأزمة بل عدد الأزمات المتزامنة" التي سيضطرّ إلى مواجهتها منذ الأيام الأولى لولايته.

وبعض هذه الأزمات مثل وباء كورونا والانكماش الاقتصادي ظرفية ومترابطة، وبعضها الآخر كالانقسامات السياسية والعنصرية تعود إلى عقود لكن يتعين على بايدن مواجهتها كلها مباشرة، في وقت سيكون مجلس الشيوخ منشغلا جزئيا بمحاكمة ترامب بتهمة "التحريض على التمرد" على خلفية اقتحام مبنى الكونغرس (الكابيتول) قبل أسبوعين.

ورغم أن العنف السياسي في الولايات المتحدة يمكن أن يؤدي إلى تقليل الثقة في استقرار البلاد، وارتفاع تكلفة المخاطر بالنسبة إلى سندات الخزانة الأميركية التي تحدث عنها المحلل الاقتصادي نوح سميث قبل نحو أسبوع، فهو يرى الآن أن هذه ليست التداعيات الاقتصادية الوحيدة المحتملة للهجوم الذي شنّه أنصار ترامب على الكابيتول.

وذكر سميث في تحليل نشرته وكالة بلومبيرغ للأنباء أن عدم الاستقرار يزيد من عدم اليقين، فإذا كنت رجل أعمال ولا تعرف من سيكون مسؤولا عن الدولة في غضون عام، فمن المنطقي عدم القيام بأيّ استثمارات كبيرة فيها خوفا من أن تستولي عليها الحكومة، أو تتمّ إزالتها من الوجود أو تدميرها في موجة عنف.

وأدّت تدابير الإغلاق التي فرضت لكبح انتشار الفايروس إلى توقف عجلة الاقتصاد الذي شهد انكماشا بنسبة 2.4 في المئة بنهاية 2020، وفقا للاحتياطي الفيدرالي الأميركي. واضطرت شركات عديدة إلى إغلاق أبوابها وتسريح موظفيها. وهناك عدد آخر من الموظفين استقالوا لرعاية أولادهم المحرومين من المدرسة. ويعيش 18 مليون أميركي على إعانات البطالة التي توفرها الحكومة.

وقال بايدن بعد إعلانه خطة طوارئ بقيمة 1.9 مليار دولار، إنه يعتزم تسريع مصادقة الكونغرس عليها، وتابع موضحا "تنتشر المعاناة الإنسانية في وضح النهار وليس لدينا وقت لنضيعه".

وعندما كان نائبا للرئيس باراك أوباما، أشرف بايدن على حزمة إنعاش اقتصادي ضخمة بعد الأزمة المالية عام 2009 التي ألقت بظلالها على بداية ولايتهما.

لكنّ التحدي مختلف تماما هذه المرة، وقالت شيرلي آن وارشو أستاذة العلوم السياسية في كلية غيتيسبرغ "يجب أن يدير الأزمة الاقتصادية فيما يحاول تلقيح 300 مليون شخص بينما يقود دولة منقسمة بشكل خطير".

ويخاطر الديمقراطي الذي وعد بتحقيق "مصالحة في أميركا" أيضا بمواجهة حقيقة وجود نظامين إعلاميين مختلفين يقدمان للناس رؤيتين مختلفتين للعالم.

وفي مواجهة كل هذه "الأولويات" اعترفت كامالا هاريس نائبة الرئيس المنتخبة، الجمعة للإذاعة الوطنية العامة (أن.بي.آر) بأنه "يجب أن نكون قادرين على القيام بمهمات متعددة".

تقاليد وهفوات أثناء مراسم تنصيب الرؤساء الأميركيين

واشنطن – لن يحضر دونالد ترامب حفل تنصيب جو بايدن، وهو أمر لم يحصل منذ عام 1869 حين رفض رئيس منتهية ولايته الالتزام بهذا التقليد الأميركي الذي ترافقه مفاجآت. وطيلة تاريخ الولايات المتحدة، طبعت العديد من هذه المواقف مراسم أداء الرؤساء الأميركيين اليمين الدستورية قبل دخولهم البيت الأبيض.

وخلال تنصيب رؤساء أميركيين شهدت أربع مرات عدم حضور رئيس منتهية ولايته، ففي العام 1801 تجاهل الرئيس الأميركي الثاني جون آدامز حفل تنصيب خليفته توماس جيفرسون بعد هزيمته، حيث قام بتقويض سمعة نائب الرئيس السابق وغادر البيت الأبيض فجر الرابع من مارس، أي يوم التنصيب.

وقد فاز ابنه جون كوينسي آدامز في انتخابات العام 1824 في ظروف تم الاحتجاج عليها في مواجهة أندرو جاكسون الذي ندّد بسرقة الانتخابات. وبعد أربع سنوات وإثر حملة عنيفة، تمكن جاكسون من الثأر ولم يلتق الرجلان حيث غادر آدامز عشية الحفل.

ولأسباب ظلت غامضة غاب الرئيس الديمقراطي مارتن فان بورين في عام 1841 عن حفل تنصيب خلفه وليام هنري هاريسون. وبعد 28 سنة من ذلك التاريخ، بقي أندرو جونسون في البيت الأبيض أثناء تنصيب خليفته يوليسيس غرانت الذي رفض مشاركة عربته معه للتوجه إلى مبنى الكابيتول.

أما أبراهام لينكولن الذي كان متوجها إلى واشنطن لحفل تنصيبه في الرابع من مارس 1865، فقد نجا من اعتداء. وبعد ساعات وفيما كان يؤدي اليمين لولايته الثانية، لم يكن يعلم أن جون ويلكس بوث الرجل الذي سيغتاله بعد 41 يوما كان إلى جانبه على أدراج الكابيتول.

وقد اعترف بوث بعد اعتقاله أنه ندم على عدم حمل مسدس في ذلك اليوم، قائلا "كانت لدي فرصة ممتازة لقتل الرئيس لو أردت ذلك".

واعتبارا من العام 1937، تم تسبيق موعد يوم التنصيب إلى العشرين من يناير في أوج فصل الشتاء. ففي يناير 1961، أدى ماس كهربائي في محرك إلى اشتعال المنصة التي كان سيؤدي عليها الرئيس كينيدي اليمين الدستورية، وظن عناصر الأمن أن الأمر ناجم عن اعتداء وصعدوا إلى المنصة، فيما بقي الرئيس كينيدي هادئا.

وقبل حفل التنصيب أذاب الجيش طبقة من الثلج بلغ سُمكها 20 سنتيمترا على الجادة التي يجري فيها العرض العسكري التقليدي بين الكابيتول والبيت الأبيض، وألقى كينيدي خطابه فيما كانت الحرارة خمس درجات تحت الصفر.

وبعد ساعات على اغتيال كينيدي في دالاس في 22 نوفمبر 1963، تم تنصيب نائبه ليندون جونسون بشكل طارئ رئيسا في الطائرة الرئاسية "أير فورس وان" أثناء توقفها في المطار.

وشهد العام 2009 حدثا طريفا، فقد حصل خطأ أثناء أداء أوباما اليمين في حفل كان يتابعه حوالي مليوني شخص، ويقول المتابعون إن المسؤولية تقع على عاتق رئيس المحكمة العليا الذي أخطأ في ترتيب كلمات القسم الدستوري. وعلى سبيل الاحتياط، أدى الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة مرة جديدة اليمين في اليوم التالي في البيت الأبيض.

وحصل أمر مماثل مع هربرت هوفر عام 1929 حين تصرف رئيس المحكمة العليا بالنص الدستوري.

ومن أبرز الهفوات تلك التي حصلت في العام 1985 حينما لجأ رونالد ريغان (73 عاما) إلى داخل الكابيتول لأداء اليمين تاركا الحشد وحوالي 140 ألف مدعو ينتظرون في الخارج، حيث كانت الحرارة 13 درجة تحت الصفر.

وعند استعراض التاريخ الطويل من مراسم تنصيب الرؤساء الأميركيين يستذكر بعض المؤخرين ما بقي في الذاكرة من العبارات الرائعة من خطابات التنصيب، فمثلا قال فرانكلين روزفلت في الرابع من مارس 1933 في خضم فترة الكساد، إن "الشيء الوحيد الذي يجب أن نخاف منه، هو الخوف نفسه". أما كينيدي فقال لمواطنيه "لا تسألوا أنفسكم ما الذي يمكن لبلدكم أن يفعله من أجلكم، إنما اسألوا أنفسكم عما يمكنكم فعله لبلدكم".

وبينما تعهد ترامب في العشرين من يناير 2017 بأن يعيد إلى "الشعب السلطة التي سرقتها منه" المؤسسات في واشنطن، قائلا إن هذا الأمر "يتوقف هنا والآن"، كان الرئيس جورج بوش قد توجه إلى هيلاري كلينتون زوجة خلفه الرئيس الديمقراطي بيل كيلنتون، قائلا "يا له من هراء غريب!".